

«برهان» السيد هاشم



قاسم حسين

kassim.hussain@alwasatnews.com

المدافعون عن الظلم والتمييز

□ تتسرب أنباء منذ مساء الأحد عن دخول المناضل الأفريقي نيلسون مانديلا حالة حرجة، فتخفق لذلك قلوب مئات الملايين من مختلف الدول والقارات. مانديلا شخصٌ وُلد قبل أكثر من تسعين عاماً، ووجد نفسه يدفع ضريبة سياسات فُرضت عليه وعلى قومه، فقط لأن لون بشرتهم سواد، فقد كان النظام يصنف الناس حسب ألوانهم، وما يبدو الآن أمراً مضحكاً وسخيفاً، كانت تسير وفقه دولة متقدمة علمياً، اسمها جنوب أفريقيا، امتلكت القنبلة الذرية ونجحت في إجراء أول عملية قلب مفتوح، لكنها لم تنجح في الالتزام بأبسط قواعد حقوق الإنسان... وهي المواطنة المتساوية.

كان على رأس نظام الفصل العنصري نخبة من البيض، تتلوه الأجناس الأخرى من الملونين، مهاجرين آسيويين، هندوساً ومسلمين ومسيحيين، وفي القاع يأتي الأفارقة السود. وحين تخرّج محامياً تخصص في الدفاع عن قضايا الأفارقة، لأن أغلب المحامين البيض لا يدافعون عنهم، إما اقتناعاً بأنهم أنقى عنصرياً، خلقوا من نار وغيرهم من طين، وإمّا خوفاً من الاصطدام بمجتمعهم العنصري المريض. قصة «ماديبا»، ربما باتت معروفة للجميع، إذ قاد نضالاً عسكرياً حتى سُجن، حيث تحوّل إلى رمز عالمي للنضال من أجل الحرية.

لم يكن كل العالم مع مانديلا، وإمّا كان معه المناضلون الواعون من كل الشعوب، وكان يصطف مع أعدائه أغلب دول الديمقراطيات الأوروبية العريقة، وظلت أميركا وبريطانيا تدافعان عن نظام الفصل العنصري حتى مطلع الثمانينيات في عهد الثنائي المشنوم الثرش: ريغان/ ثاتشر. وكان مانديلا يتعرض لحملات إعلامية مبرمجة، تقدّمه في صورة المجرم الإرهابي الخطير، على أيدي ثلّة من الكتاب والصحافيين والإعلاميين، كلهم اليوم اختفوا من الساحة. ولم يعد أحد يذكرهم إطلاقاً، وانمحت أسماؤهم من الوجود، وبقي اسم مانديلا الحر تخفق له القلوب.

كانت هذه الأقلام الرخيصة تهاجمه وتسبّه وتشتمه، طوال ثلاثين عاماً، ما كلت من الشتائم والقدح، وما تعب وما ملّ هو من النضال. خطّان متوازيان، يمثل أحدهما حب التسلط والاستتار والاستبعاد، ويمثل الآخر حبّ التحرّر والعدالة والمساواة بين البشر. هذه الحركة التي نجد أنفسنا نتعاطف معها بكل وجداننا، كعرب وكمسلمين، انسجماً تلقائياً مع الذات والتاريخ والمبدأ القائل: «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى». هذه البديهية الواضحة كالشمس، تغيب عن نسوا الله فأنساهم أنفسهم، فباتوا متخصصين في شتم مواطنيهم 24 ساعة في 52 أسبوعاً في العام، هذا حالهم منذ سبع سنوات وأكثر، ما ملّوا وما كلّوا، يبيدون الكلام في الموضوع الواحد ألف مرة ومرّة... إلى درجة الغثيان.

صحيفةٌ مستقلةٌ لا تستلم فلساً من تحت ولا فوق الطاوله، تنقذ عدداً من البرامج التواصلية مع الناس أخذاً بمبدأ «المسؤولية الاجتماعية»؛ تهتم بتشجيع الكتابة للشباب والناشئين؛ وتنظم مسابقات تصوير المحترفين والهواة (أخذت تستلهمها بعض الشركات والمؤسسات كآية فكرة رائدة)؛ ونظمت معارض للتحف والمقتنيات الأثرية والطابع؛ وكان آخرها تنظيم حفلات تكريم للإداريين والمعلمين المتقاعدين. وُجّهت الدعوات للجميع دون تمييز، فكلم أساتذتنا ومعلمونا، طرفٌ حضر وطرفٌ غاب، خشية على نفسه من التسقيط والتشهير والتكفير والاتهام بالخيانة، على أيدي مقارب الرمل التي تعيش في المياه الأسنة، كالمطالب الهرمة التي بلغت من العُمر عتياً، حتى تهزّت وأفلست وسقطت في ميزان القيم والأخلاق والمبادئ الإنسانية، وأصبحت تستخدم لغة العنصريين الأوباش.

الصيت «البرهان في تفسير القرآن»، وهم السيد محسن المتوطن أصفهان وكان يحتفظ بأكثر مؤلفات والده، والسيد عيسى والسيد علي الذي هاجر من أصفهان إلى بلدة خنج على الساحل الفارسي، والسيد محمد جواد، والسيد إبراهيم. وقد تخرّج على يديه جمعٌ كبيرٌ من العلماء أبرزهم الشيخ سليمان الماحوزي (ت 1121هـ/ 1709م). وقد طاف تراثه العلمي المخطوط أشهر المكتبات الخطية في العالم الإسلامي، وتناهيته عواصم المعرفة ومدن العلم، ولفت نظري مثلاً أن مخطوطات مصنفاته حوتها المكتبات التالية: المكتبات الخطية في مكتبة المرعشي النجفي في مدينة قم، ومكتبة البرهان في سبزوار، والمكتبة الرضوية في مشهد، ومكتبة ميرزا عبد الرزاق المحدث الحائري في همدان، ومكتبات خاصة في أصفهان. وخرّانة السيد هبة الدين الشهرستاني (ت 1967) بالكاظمية، وخرّانة سبوسالار في طهران، ومكتبة آل عصفور في بوشهر، ومكتبة محمد الطهراني في سامراء، ومكتبة السيد عباس الكاشاني وخرّانة بزرك الطهراني في كربلاء، ومكتبة الشيخ عبد الحسين الطهراني الخاصة، ومكتبة الحسن صدر الدين بالكاظمية.

أما في النجف فقد حوت مكتباتها مصنفات السيد هاشم، ومن أبرز هذه المكتبات خرّانة الشيخ علي كاشف الغطاء وخرّانة الحاج مولى علي محمد النجف آبادي والمكتبة الحسينية، إضافة إلى مكتبة المدرسة الفيضية بقم، وورثة العلامة المجلسي.

هذا الرجل الذي كان يكتب بخط يده، حتى إذا طوّقه المرض وفنكت به أوجاع المرض؛ صار يملئ كتبه على كاتب كما حدث في آخر كتبه «تفضيل الإمام علي» الذي فرغ منه سنة 1107 هـ/ 1696م.

هنا دعوة لإعادة الاعتبار لهذا الرجل الفذ، إعادة النظر في تراثه العلمي العظيم، تدارسه، نشره، إجراء الدراسات حوله، ومحاولة الكشف عن الجوانب المجهولة من تاريخه وظروف عصره. جمع تراثه المخطوط من مكتبات العالم، وإتاحته للباحثين والمهتمين لتكون هذه النخائر مصدراً من مصادر المعرفة عن هذا التراث العربي والإسلامي الغائب والمغيب.



للمزيد من المقالات السببية

1699م). بل أن السيد هاشم البحراني يظهر في بعض كتبه كتاب «معالم الزلّفي في معارف النشأة الأولى والأخرى» «ينقل فيه عن كتب غربية ليست مذكورة في البحار». لم يكن السيد هاشم منتجاً نشطاً للمصنفات ومنشغلاً بالبحث العلمي، بل كان زعيماً دينياً واجتماعياً يُشار إليه بالبنان، وقد انتهت إليه الزعامة الدينية في البلاد بعد الشيخ محمد بن ماجد وتسمّم بعده منصب القضاء الأعلى.

أنجبت أسرة القاروني عدداً كبيراً من العلماء الأفاضل، فمن هذه الأسرة خرج الشيخ عبدالله بن سليمان القاروني المعاصر للسيد ماجد العريضي الجدحفصي الذي كان يسكن قرية كرانة، بينما كان أخواه يقطنان في توبلي معقل الأسرة القارونية في البحرين.

وقد تفرغت من الأسرة القارونية أسر: منها أسرة (آل عبدالجبار) ومن فروعه آل الساري وهم من سادات سار، كما سكنت عوائل منهم قرية السنابس وغيرها من القرى. وقد اتسع نطاق حراكهم البشري ليتأخّم حدود العراق وإيران، فظن بعضهم مناطق شط العرب في عبادان وغيرها. من تفرعات هذه الأسرة (آل التوبلي) البحراني، التي تزح عميدهم السيد عبدالقاهر من بلاد البحرين وسكن بلدة لنجة، وما زالت بقايا هذه الأسرة العلوية الموسوية تقطن فيها، وقد تفرّق بعضهم في دول الخليج كالإمارات العربية وغيرها. ومن أبرز علماء هذه الأسرة السيد عبدالقاهر بن السيد كاظم التوبلي (ت 1304 هـ/ 1886م). والسيد شبر بن السيد علي بن السيد كاظم التوبلي (ت 1337 هـ/ 1918م). ومن هذه الأسرة العلمية (آل العدناني) الموسوي التي برز منها السيد عدنان بن علوي الموسوي (ت 1347 هـ/ 1928) الذي تسلّم القضاء، وترأس ونظّم الأوقاف الجعفرية وأمّال القاصرين في البحرين.

ومن فروع الأراة (آل التكتكاني) التوبلي التي هي عائلة العلامة السيد هاشم نفسه، إخوته وأولاده وأبناء عمومته، وقد دفن أخوته وقد كانوا من أهل العلم إلى جواره قرب مسجده في توبلي، وهم السيد كاظم والسيد جعفر والسيد أحمد.

أما أبناؤه، فقد هاجروا بعد وفاة والدهم إلى بلاد فارس، وأقاموا في بيهان وغيرها، واشتغلوا بنشر العلوم الدينية، وعرفوا هناك بـ «البرهاني» نسبة إلى تفسيره الذائع



وسام السبع

wesam.alsebea@alwasatnews.com

□ لايزال الجزء الأكبر من تراث علماء البحرين العلمي رهين الإهمال والتجاهل. إهمالاً يتخذ أكثر من شكل ويطال أكثر من مستوى. سيقول البعض إنها ليست أولوية مرحلة، وسأقول بأن التراث العلمي لأية أمة وشعب لا يمكن أن يخضع لمزاجيات الأحداث المحلية وتقلبات الحدث السياسي، إلا إذا اعتبرناه على الهامش، شأناً وضيعاً لا يستدعي منا التفاتة إلى حين يصفو مزاجنا وتخلص من جميع مشاكلنا.

السيد هاشم البحراني (ت 1109 هـ / 1697م) واحد من مفاخر البحرين الكبار، ومن علماء الفترة من منتصف القرن الحادي عشر حتى أوائل القرن الثاني عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي. وُلد في أسرة باذخة في المجد، كريمة المحتد، هي عائلة السادة القارونية، من أشرف الأسر البحرينية وأكثرها وجاهة، وفيهم يقول شاعر البحرين الكبير أبو البحر الخطي (ت 1028هـ / 1619):

آل قارون لا كبا بكم الدهر ولا زلتم رؤوس الرؤوس
ترك السيد هاشم تراثاً علمياً ضخماً، وحسبما يشير الميرزا عبد الله الأفندي (ت 1130 هـ / 1718م) فإن له من المؤلفات خمسة وسبعين مؤلفاً ما بين كبير ووسيط، وأكثرها في العلوم الدينية. وبعض هذه الكتب والمصنفات كان يؤلفها السيد هاشم لشخصيات من خارج البلاد، ولا يكتب لأهل البلد أن ينتفعوا بها، وفي ظل بديهة وسائل النشر العلمي، لم يكن يكتب لهذه المصنفات أن تُعرف في البحرين إلا بعد عقود طويلة. لكن الأفندي حدّثنا أنه قد رأى أغلب مؤلفاته عند ولده السيد محسن في أصبهان.

شخصية علمية بارزة كالشيخ يوسف العصفور (ت 1186هـ/ 1772م) يعتبر السيد هاشم محدثاً جامعاً متتبعاً للأخبار لم يسبقه سوى العلامة المجلسي (ت 1111 هـ/

مخاوف مشروعة

التربية والتعليم في تعاملها المفرط مع تداعيات الاحتجاجات عبر فصل الطلبة والمعلمين، وعمليات الاعتقال التي طالت أعضاء السلك التربوي بسخاء ولجان التحقيق والفصل والخضوع من الراتب الذي ما زال سارياً حتى اليوم، كل ذلك يؤسس بيئة خصبة لتكاثر ونمو المخاوف التي أصلها التعاطي اللامنصف مع فئة معيّنة من المواطنين بسبب مواقفهم السياسية. في فترة الأحداث انتهجت جميع الوزارات والمؤسسات الحكومية والخاصة ذات النهج عبر لجان التحقيق والفصل من العمل، ولكن وزارة التربية والتعليم بالغت في ذلك بشكل مثير، تاركة العبث يطول كل ما يمكن الوصول إليه وعقابه، ولهذا لا يمكن أن يلام المواطنين اليوم لشعورهم بالاستهداف نتيجة لكل ما قامت به وما زالت تقوم به وزارة التربية والتعليم.

لم يكن أمر المقابلة الشخصية للبعثات أمراً متبعاً قبل أحداث 2011، وإقرارها فجأة في ذلك الوقت مع إخفاء نتائج توزيع البعثات ومعدلات الطلبة، إنما ترك الأمر مفتوحاً للتأويلات التي لا يمكن إنكار مشروعيتها في ظل ملاستها لأهم حدث سيلقي بظلاله على حياة الطلبة المعنيين لسنوات طويلة قادمة، ناهيك عن الأساس الذي بناءً عليه تشكلت هذه

اللجنة وحقيقة أهدافها وأعضائها وتكافؤ تمثيلهم لكل أطراف المجتمع، لضمان عدم انحيازها لمكوّن أو حزب أو توجه ديني أو سياسي. وهو الأمر الذي لا يتوفر حالياً في الوزارة لإقصائها معظم المسؤولين من طائفة معينة، واستحواد فئة معينة على مناصب الوزارة، كل ذلك يؤسس للمخاوف التي طفحت على السطح، ولا تستطع الوزارة إنكار أصلها أو حقيقتها. إن من المجحف جداً أن تُغفل فرحة الطلاب بتفوقهم ومن بنوه من آمال بالمستقبل، بسبب فرض الوزارة قرارات غير مقبولة، وقد تكون منفذاً لقرارات غير منصفة للبعض. لقد آن الأوان لتتوقف وزارة التربية عن عملية الاستهداف وتعمل على تعزيز المواطنة وتغليب مصلحة الوطن ضد التمزقات والفجوات التي أفرزتها بسخاء تداعيات أحداث 2011.

لا نعرف حقيقة كيف سيبدو شكل الوطن بعد سنوات، حين يحصل على بعثة الطب طالبٌ ضعيف قدرات العقلية فقط لكونه من المرضى عنهم، في حين يصبح الطالب المتفوق في وظيفة دنيا. المستقبل سيأتي حتماً دون المستوى الذي يعصف بنا الآن.



للمزيد من المقالات السببية



مريم أبو ادريس

كاتبة بحرينية

□ لم تكد نتائج الثانوية تُعلن حتى طفحت على السطح مخاوف وترقيات لما سيكون عليه الوضع أثناء توزيع البعثات الدراسية على الطلبة المتفوقين. وهو الأمر الذي أثير بشكل واسع مطلع الأسبوع الماضي حتى اليوم عبر الصحف ومقالات الزملاء، فضلاً عن مواقع التواصل الاجتماعي والأحداث الخاصة التي لم تخل من طرح للمخاوف التي ترسبت بفعل عملية التمييز الفاقعة التي مارسها وزارة التربية والتعليم، خصوصاً بعد الاحتجاجات في فبراير 2011.

بالنظر إلى السياسة الخاطئة التي انتهجتها وزارة

الشباب والصيف... «إذا لم تزد

على الحياة شيئاً كنت أنت زائداً على الحياة»

أنت تتاح الفرصة له للتسجيل في عدد من الدورات خلال الصيف، لعله بذلك يكتسب الخبرات التي لم تشملها المدرسة أو الجامعة في برامجها وأهدافها. إنّ التعود على قضاء فصل الصيف في اللهب، وهو أسلوبٌ استمر طويلاً، يجعل بعض الشباب يعتقدون أن هذه الدورات تتعارض مع الإجازة الصيفية. والحقيقة أنه متى خطط لإزالة هذا التصور وبدأ تطبيق الدورات التي تمكن الشباب من الخبرات الحياتية العملية اليومية ومتى شعر الشباب بفائدتها والفروق الواضحة بين خبرات العام الدراسي والإجازة الصيفية نتيجة للتفاوت في المهارات المكتسبة، فإن النظرة إلى الإجازة سوف تتحول إلى شيء من الجدية النامية مع مرور الوقت.

إن المشكلة الكبرى في مدى وعي الشباب بوضع أهداف لحياتهم عامة، لا فقط لإجازة الصيف أو للعام الدراسي، فلو أن الدراسة انقضت ماذا سيفعل الشاب؟ نحن اليوم في أمس الحاجة إلى أن يصوغ كل منا، وفق منطلقاته وبالاشاور مع غيره من أهل المشورة الأحيار، جملةً من الأهداف يسعى إلى تحقيقها طيلة العام، وأن لا يرضى لنفسه بعد اليوم أن يعيش من دون هدف، وأن لا يرضى من الحياة أن يكون فيها صفراً، وإمّا أن يحمل قول مصطفى صادق الرافعي شعراً حيث قال في كلمة عظيمة له: «إذا لم تزد على الحياة شيئاً، كنت أنت زائداً على الحياة».



للمزيد من المقالات السببية

دراستهم كل بحسب اجتهاده، هدفهم الأخير تحقيق النجاح. إن تصوّر المشكلة على حقيقتها جزء أساسي في حلها؛ فلئن كانت فترة الصيف تختلف عن المواسم الأخرى من السنة من حيث مقدار الرغبة في العمل والإنتاج بحكم تأثير المناخ على نشاط الإنسان، فإنه لا ينبغي أن لا يصل الأمر إلى إلغاء هذا الجزء من أعمارنا ليصبح صفراً في حساب الزمن بالتفكير في قتلها. إن وقت الإجازة يشكل نسبة من أعمارنا وهي ليست هيئةً أو قليلة حتى تفكر في القضاء عليها، وتحديد المشكلة ينبغي أن يوضع في تصور آخر يجعلنا نحس أن هذه الإجازة جزءٌ من أعمارنا الحقيقية، والتخطيط الجيد لهذا الجزء من العمر ينبغي أن يراعي ويلبي حاجات الشباب، فهم يشعرون بالنقص الشديد في مجالات عديدة من الحياة العملية اليومية، وكثير من الشباب في حاجة إلى اكتساب الخبرات الضرورية في مهارات القراءة السريعة أو الكتابة السريعة أو مهارات فهرسة المعلومات ومهارات النسخ على الآلة الكاتبة ومهارات تصنيف المكتبات أو مهارات تنظيم الرحلات والاستفادة منها. وكذلك مهارات العلاقات العامة والمقابلات الشخصية أو مهارات إعداد اللقاءات فضلاً عن المهارات الرياضية... وما هذه إلا عينات يقيس الشباب عليها كل حسب مستواه وحاجاته.

ويا حيداً لو تصاغ هذه المهارات في دورات قصيرة من أسبوع إلى أسبوعين، يتم خلالها تقديم برامج مكثفة تركز فقط على تلك المهارة، ويكون العدد محدوداً، ويمكن أن يعطى الشاب شهادة تقيده باجتياز هذه الدورة على

□ هل إجازة الصيف وقت فراغ بالنسبة إلى شبابنا؟ هل هي مجرد فترة من العمر إضافية تأتي للراحة من أعباء المسؤوليات والواجبات طيلة العام الدراسي؟ هل هي رحلة الصيف: رحلة اقتناص الفرص واغتنام الشباب والتنافس في أعداد الفتيات أو الفتان الذين سوف يقع التواصل معهم في العالم الافتراضي أو في العالم الحقيقي؟ هل لدينا تصوّر دقيق وواضح لفصل الصيف؟ لهذه الفترة غير القصيرة من العمر؟

أسئلةٌ لطالما تركزت في نهاية كل عام دراسي، بل وتفرض نفسها على كل عائلة وكل شاب أو شابة بالحاح، لكن كثيراً ما كانت هذه الأسئلة تسخن وتسخن حتى تصبح حارقة مع حرارة فصل الصيف، ثم تبرد مع نهايته ويعود الشباب إلى أعمالهم وتبرد المشكلة لتتجدد في الصيف القابل... وهكذا قد يمضي العمر ولم يهتم الشباب بإجازة الصيف بالشكل الذي يكون مفيداً وذات أهمية بالنسبة إليهم.

إن القضية وباختصار شديد تحتاج إلى تصحيح التصور لهذا الوقت، وذلك أولاً بالاستماع إلى الشباب وفهم نظرتهم إلى هذا الفترة المهمة من السنة ومن حياة الشباب والإنسان عموماً.

إن الاعتقاد بأن أي برنامج صيفي هو حلّ لملء الفراغ، أو لقتل وقت الفراغ كما يرى البعض، هو تصوّر خاطئ لأنه بالأساس ليس لنا وقت فراغ. إن القول بوقت الفراغ يعني وجود وقت آخر مليء بالأعمال والأعباء، ولعله بقية العام وتحديد العام الدراسي، حيث يكون الشباب منهمكين في



سليم مصطفى بودبوس

slim.boudabous@alwasatnews.com